الفصل الثالث

ضوابط الفكر في الإسلام

ليس طليقا من كل قيد .. هذا حق .

بيد أن قيوده تضبطه ولا تقيده ، وتطلقه ولا تعوقه ، وتعمقه وتخصبه وتخلصه من الهوى ، والجهل ، والتعصب .. وغير ذلك مما يجعل من حرية الفكر صورة بغير محتوى ، وشكلا بغير فحوى ، وجسدا بغير روح !

ومن هنا فضلنا أن نقول : ضوابط ولا نقول قيودا ...

والذين زعموا انهم اطلقوا حرية الفكر .. وصنعوا له قيودا تعوقه من حيث لا يشعرون ..

فالهوى ونزغات النفوس صارت مع الحرية قيودا رهيبة تعوق الفكر عن أن يحلق فى آفاق المثل والقيم العليا !

والمادة بصورها المختلفة ، وأثقالها المتعددة ، وجاذبيتها الشديدة .. صارت تشد الفكر الى الطين .. بدلا من أن يرتفع مع الروح الى سبحاتها تحت العرش !

ومن ثم شهد هذا العصر الوانا من الفكر الهابط .. بل لقد راج ذلك الفكر الهابط حتى عشش فى عقول الناس ، وحتى تعاطوه فى أدبهم ، وقصصهم ، وأفلامهم ، ومواد اعلامهم .

وضوابط الفكر تتعلق أولا بالغاية .. فتحدد للمسلم الهدف فلا يضل ولا يزل .

وتتعلق ثانيا بالمنهج فيعلم صراط الله مستقيما ، فلا تتفرق بهم السبل !

وتتعلق ثالثا بالوسيلة ، فلا يرتضى بالوسيلة الخسيسة سعيا الى غاية شريفة !

ويرتبط رابعا بالخلق يرده عن التردى ويرفعه الى آفاق القيم والمثل .

ويرتبط خامسا بوظيفة الانسان على هـذه الأرض وصلته بالمجتمع ومكانه فيه .

تلك فى ظننا ضوابط خمس تضبط فكر المسلم .. وهى فى ذات الوقت تطلقه ليحلق فى آفاق كريمة ويرنو الى غايات علا .

ونحاول أن نعرض بمشيئة الله لهذه الضوابط فى السطور التى تلى .. والله المستعان .

* * *

الضابط الأول : الغـاية

○ تقـديمة :

تتعدد غايات الناس فى هذه الحياة الدنيا .

فمنها الخسيس الذى تنكره الفطرة السليمة ، وتأباه النفس السوية .

ومنها غير خسيس ، لكنه كذلك غير رفيع ، أنه يتناول ما فى هذه الدنيا وتشرئب نفسه الى المزيد .

ومنهم — وقليل ما هم — من تسمو نفسه الى أسمى الغايات، الى رب السماء والأرض ، ويجعل من دون ذلك غايات علّيا كذلك .

تلك أصناف ثلاثة نتناولها بشىء من التفصيل ، والله المستعان .

اولا — غايات خسيسة :

ذاك وضع أكثر الناس ولو حرصت ! من أجناس كثيرة ، وأديان كثيرة ، وأوطان كثيرة .... ارتكس البعض الى مرتبة الحيوان .. فصارت الشهوة أكبر همه ومبلغ علمه ! وارتكس البعض الآخر الى ما دون ذلك ، فلم يرع فى ذلك دينا ولا ربا ولا خلقا ! وارتكس فريق ثالث جعل الهه هواه .. أو اتخذ وثنا من حجر أو بشر ، اياه يعبد ، وله يسعى ويحفد !

وقد يوجد بعض آخر يعيش بلا هدف .... لا يعرف لم جاء ، ومن أين جاء ، والى أين يذهب ! ولا يريد أن يعرف ! همه فى الدنيا أن يعيش ، ولا يبحث عن هدف بعد ذلك..أولئك الذين يعيشون الضياع ! وهم اليوم كثيرون .

بيد أن الأكثر الذى يجعل له هدفا .. اشباع الشهوة عند الكثير هدف له يعملون ، ومن أجله يكدون ويكدحون ، وهذا الفريق لا يدرى أكثر من موضع شهوته،فان بلغها فقد انتهى أمله وانقطع رجاؤه .

وقد شهدتهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام . ويحسبون كل انشغال بما وراء ذلك تنطع لاينبغى ، وتهوس لا مبرر له . ويظنون فى أنفسهم الذكاء و « التعقل » ، وحسن اختيار الغاية وتبين الطريق . أولئك نشـــهدهم فى أماكن كثيرة . وبعضهم يحمـــل شعارات ويردد فلسفات ! ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وأشد ارتكاسا من هذا الفريق . فريق منهم يجعلون الشهوة هدفا ، يحصلون عليها بكل طريق ، فلا يرعون فى مؤمن ولا غير مؤمن الا ولا ذمة ، ولا يرتبطون بعهد ولا موثق ، ولا يحدهم قيمة ولا خلق ولا مثل ! فلا بأس أن يغتصب مال صديقه أو قريبه أو ذى رحمه . ولا بأس أن ينزو على زوجة صديقه أو زوجة اخيه .. أو حتى أخته وأمه ان لم يجد ! ولا بأس أن يتسلق الى المناصب بالكذب والغش والرياء والنفاق ، ومسح الملابس ، أو حتى مسح الأحذية ! ولا بأس أن يقدم عرضه مقابل كسب رخيص أو بغير كسب ولا ثمن !

وهو فى هذا كله من المتحضرين أو من المتحررين أو من الاجتماعيين أصحاب النوادى والرحلات والاجتماعيات !

ولقد شهدت هذه الأصناف فى تجوالى ، وفى مواقع أعمالى ، وشعرت نحوهم باحتقار شديد ، وتذكرت فيهم وصفا للقرآن جامعا مانعا :

« لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بهـا ، أولئك كالأنعـام بل هم أضـل ، أولئك هم الغافلون » (١) !

واشد من هؤلاء وأولئك من اتخذ من دون الله وثنا يعبد .. له يسجد ، واليه يسعى ويحفد ، يرجو رضاه ؛ ويخشى غضبه .. يقدم له القرابين ، ويذبح عنده الذبائح .. أيا كان ذلك الوثن .. حجرا أو بشرا ، ذكرا أو انثى ! !

ولقد تكون صورة الوثن من الحجر خفت أو اختفت .. لكن صورة البشر يعبد من دون الله لا تزال قائمة .

وصورة الشعارات تردد من دون الله لا تزال ماثلة ..

ولا تزال الجهود ، والدموع ، والدماء تسكب من أجل أولئك وهؤلاء .

ولا يزالون معرضين عن ذكر الله وعن الصلاة ، بل وعن نداء العقل .. ونداء الحكمة :

سهر العيون لغير وجهـك ضـائع
وبكاؤهن لغـير وجهـك أضيـع

ثانيا ــ غايات دنيا :

بعض الناس لا يحب الحضيض ، لكن نفسه تقعد به عن الارتفاع . أولئك ناس « طيبون » ، « سـذج » ، ومن ثم فهم يعيشون « فى حالهم » ولحالهم . يؤثرون « السلامة » ، ويخافون « الحكومة » ، ويصفونها بأنها « رشـيدة » أو « ما قصرت » !

---

(١) الأعراف : ١٧٩

ذلك قطاع كبير ، هم للسلبية أقرب منهم للايجابية ، وهم بالقعود أقنع منهم بالجهاد ، لا يحبـــون ان يؤذوا وهم بدورهم لا يأذون ! قنعوا بأن الايمان ما وقر فى القلب وصدقه اللسان ! أو على أحسن تقدير قامت معه بعض أركان الاسلام ..

قبلوا دعاوى من قالوا الاسلام عقيدة وليس شريعة،دين وليس دولة ، واستمعوا لصيحة من قال : « لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين » فوجدوا فيها العافية وحسن العاقبة .

ولو وقفوا عند ذلك لقلنا لهم : جزاكم الله خيرا ، لكم دينكم الذى تزعمون ! ولكن بعضهم راح يهاجم الذين يدعون للاسلام دينا ودولة ، عقيدة وشريعة ، ويهاجم الذين يدعون الى عودة دولة الاسلام تظل المسلمين ، وتجمع عقدهم ، وترهب عدو الله وعدوهم !

ووصفوا الدعاة بأنهم بغاة ، ونصبوا انفسهم على الناس قضاة ، وراحـــوا يرددون بغير فهم **« لا يضركم من ضـــل اذا اهتديتم »** (٢) .

ونسوا أو تناســـوا شرحها « اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » (٣) .

---

(٢) المائدة : ١٠٥ .

(٣) رواه أحمد والترمذى وأبو يعلى وغيرهم من حديث قيس بن حازم عن أبى بكر رضى الله عنه .. « انكم تقراون هـــذه الآية وانكم تضعونها على غير موضعها » .

ثالثا ــ غايات عليا :

« الله غايتنا » تلك هى الغاية الأسمى ، والهدف الأعلى . عليها نحيا ، وعليها نموت ، وفى سبيلها نجاهد حتى نلقى الله .. ليست شعارات ، ولا هتافات .. انها عقيدة راسخة وأصل ثابت!

وهى التى تشكل التلقى وتشكل الاتجاه .. فمن الله نتلقى .. والى الله نسعى ونشقى (٤) ! وبهذا يتحدد الهدف .

والانسان بهدف محدد يعيش فى طمأنينة وراحة ، ويبذل عن طواعية وميل واختيار . فاذا كان الهدف أسمى .. فان الراحة أكثر ، والطمأنينة أعمق ، والبذل والجهد أشد وأكثر !

بيد أن غايات تقف على الطـــريق الى الله هى : الدين .. النفس .. المال .. العرض .. العقل .

فحفظها والمحافظة عليها .. مقاصد لهذه الشريعة أو غايات عليا دون الغاية الأعلى وهى الله ! وهى موضع اجماع المسلمين ، وعليها مدار الكثير من النصوص ! وكنا نود أن نشرح ذلك . ولكنا نفضل أن نحيل اليه فى مراجعه (٥) .. والله المستعان .

* * *

---

(٤) نشقى بمعنى : نجد ونحتمل المشقة ، وليست بالمعنى الآخر الذى يقع فيه غير المؤمن : « يضل ويشقى » .

(٥) الامام الشاطبى فى الموافقات ، الدكتور حسين حامد فى المصلحة (رسالة دكتوراة) ، الدكتور محمـــد سعيد البوطى فى ضوابط المصلحة .. ومراجع أخـــرى مشار اليها وتحت الطبع للمؤمن « أصول الدعوة » .

الضابط الثانى : المنهج

● تقـــدمة :

قد تتحدد الغاية لكن تتعثر الخطى لأن النهج غير واضح أو تعترضه العثرات . وليس بعد نهج الخالق نهجا يرتضيه المخلوق ! **« أفمن يخلق كمن لا يخلق ، أفلا تذكرون »** (٦) بيد أن لهذا المنهج معالم ينبغى أن نلحظها فى الطريق .

وأول معلم فيه أنه ربانى لأنه من عند الذى ارتضيناه لنا غاية . وهو بهذا أجل وأشرف وأسمى ، وأكرم وأعز وأغلى ، وخير لقومنا من كل نهج سواه وأبقى !

وهوبهذا يقيم حارسا فى النفوس أقوى من كل حارس ، لا ينام ان نام الناس ولا يغفل ان غفل الحراس !

ترى هل يعى حكامنا ذلك ؟ !

وعلى ذلك تتوالى المعالم .

والمعلم الثانى أنه متكامل لا يقبل الانقاص :

أعلن منزله كماله **« اليوم أكملت لكم دينكم .. »** (٧) .

وأعلن شموله **« تبيانا لكل شىء »** (٨) .

وأعلن عـــالميته **« وما أرسلناك الا كافة للنـــاس بشيرا ونذيرا »** (٩) .

---

(٦) النحل : ١٧ .
(٧) المائدة : ٣ .
(٨) النحل : ٨٩ .
(٩) سبأ : ٢٨ .

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (١٠) .

وهو لا يقبل أى تجزئة او تقسيط **« واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك »** (١١) .

« ودوا لو تدهن فيدهنون » (١٢) .

« وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذن لا تخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (١٣) .

ومحاولة التكملة من عند أنفسنا مع طرح ما جاء من عند الله ﷻ تطاول على مقام الله لا يدركه الذين اتخذوا أربابا من دون الله ﷻ أو يدركونه ولا يدركون آثاره : فى الدنيا خزى ، وفى الآخرة عذاب ، أو يدركون ذلك كله ويستهينون بعذاب الله !

والمعلم الثالث انه يربط الدنيا بالآخرة ، والتشريع بالتوجيه ، والواقع بالمثال ، ويعالج ذلك كله بمنهج تربية ، ومنهج دعوة ، ومنهج حكم .. متفرد لا يستطيعه أى نظام ! وقد قدمنا اشارة الى ذلك ، ونحيل الى اشارات أخرى فى أماكن أخرى (١٤) .

---

(١٠) الأنبياء : ١٠٧ . (١١) المائدة : ٤٩ .
(١٢) القلم : ٩ . (١٣) الاسراء : ٧٣ — ٧٥ .
(١٤) راجع ما تقدم عند الحديث عن القرآن ، وراجع للمؤلف « القرآن فوق الدستور » .
وراجع نحو نظرية للتربية الاسلامية للمؤلف — نشر مكتبة وهبة .

والمعلم الرابع هو الثبات :

الثبات الذى يتأبى على التغيير والتبديل .

والشعوب تعانى كثرة التغيير لمجرد التغيير ، وتود الثبات لما فيه من استقرار .

فاذا كان هـذا الشىء الثابت من عند الله جاء وحيا لآخـر الأنبياء ، فانه بلا شك أولى بالطمأنينة والاستقرار !

ولقد حاولوا ذلك فعـلا فى دساتيرهم فدعوا الى ما يسمى بجمود الدساتير ، وانتهى جمود الدساتير ليس الى امكان تغييره وتبديله ، بل الى امكان التغيير بأغلبية خاصة ($\frac{2}{3}$ أو $\frac{3}{4}$) وهى غير الأغلبية المطلقة التى تملك وتستطيع تغيير القوانين .

بيد أن هذا « الجمود » جمود ظاهرى ، وحقيقته هو القابلية للتغيير أولا اذا كانت الأغلبية البرلمانية هى للحزب الحاكم وكان ذلك الحزب يريد التغيير فانه لابد أن يكون التغيير .

كذلك فان امكان التغيير مع هذه الأغلبية ليس بالأمر الصعب فلو تصورنا البرلمان ٤٠٠ (أربعمائة) عضوا فانه يصح الانعقاد بالأغلبية المطلقة (النصف + ١) أى ٢٠١ (مائتين وواحـد) ، فان أردنا أغلبية الثلثين من هذه الأغلبية أى ١٣٤ فانها تمثل فى الواقع قريبا من ثلث نسبة الأعضاء .. وعلى ذلك تصير الأقلية فى الواقع هى التى تغير الدستور الذى أريد له الجمود أو الثبات (١٣٤ من ٤٠٠) وذلك كله فضلا عن تغييرين يحدثان بغير قيود :

أولهما : فى دول ما سمى بالدساتير المرنة — وهى الدول الانجلوسكسونية — التى لا تشترط أغلبية خاصة لأى تغيير دستورى .

ثانيهما : سقوط الدستور فى حالة الثورة ونجاحها فانه يسقط من تلقاء نفسه أو كما قالوا : (Enplein Droit)

أما التغيير فى دستور المسلمين وكتابهم فقد انتهى بقوله تعالى « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (١٥) .

بيد أن الثبات عندنا لا يعنى الجمود .

ان الثبات عندنا جاء فى الدوائر التى تأبى طبيعتها التغيير .. كشئون العقيدة ، والعبادة (بمعناها الخاص) والحدود والقصاص والكفارات .. الخ .. أما عدا ذلك فدائرة مرنة خاضعة للاجتهاد وفقا للظروف والأحوال وأكثرها فى دائرة المعاملات !

فهناك تتبدى المرونة الى أقصى درجاتها حتى لقد قال فيها فريق له ثقله : ان الأصل فيها هو الاباحة حتى ترد شروط أو عقود موحى بها تنظيم هذا المباح .

والمعلم الخامس هو العدل أو العدالة :

● انه اسم من أسماء الله سبحانه .

---

(١٥) المائدة : ٣ .

وهـــو أمر من الله لعباده « **وإذا حكمتم بين النـــاس ان تحكموا بالعدل** » (١٦) .

وهو وصف من الله لكلماته « **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته** » (١٧) .

وهو أمر مع الميل وأمر مع الشنآن :

« **كونوا قوامين بالقســـط شهـــداء لله ولو على انفســـكم او الوالدين والأقربين** » (١٨) .

« **كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** » (١٩) .

● وعكســه حرمه الله على نفسه وجعله بين عباده محرما : « **وما ربك بظلام للعبيد** » (٢٠) .

« انى حـــرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محـــرما فلا تظالموا » .

● وعاقبة الظلم وخيمة :

« **وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان اخذه أليم شديد** » (٢١) .

---

(١٦) النساء : ٥٨ .
(١٧) الأنعام : ١١٥ .
(١٨) النساء : ١٣٥ .
(١٩) المائدة : ٨
(٢٠) فصلت : ٤٦
(٢١) هود : ١٠٢ .

« وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى اخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم » (٢٢) .

«وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا» (٢٣).

* * *

الضابط الثالث : الوسيلة ..

● تقـــــدمة :

« وابتغوا اليه الوسيلة .. » (٢٤) .

اذا كان الابتغاء الى الله ، فلا بد أن تكون الوسيلة متأثرة بالغاية .. فلا بد للوسيلة أن تكون شريفة ..

ومن ثم يبطل — فى دعوتنا — كل وسيلة خسيسة ، ويسقط الشعار الذى رفع يوما « الغاية تبرر الوسيلة » .

والله يحاسب على النوايا اذا اقترنت بالأعمال : « قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله » (٢٥)

«وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله»(٢٦).

وهو سبحانه يحاسب على الوسائل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٢٧) .

ومن ثم كانت الوسيلة مهمة كذلك .

---

(٢٢) محمد : ١٣ .
(٢٣) الكهف : ٥٩ .
(٢٤) المـــائدة : ٣٥ .
(٢٥) آل عمران : ٢٩
(٢٦) البقرة : ٢٨٤ .
(٢٧) الزلزلة : ٧ ، ٨

والذى يهمنا فى حديثنا عن الوسيلة أن نشير الى أمرين :

أولهما : ورود الوسائل كثيرا منصوصا عليها .

ثانيهما : موقع الجهـاد من تحقيق الغـاية كوسـيلة من الوسائل .

أولا — النص على الوسائل :

برغم ما قد يتبادر الى الأفهام اهتمام الوحى بالاجمال دون التفصيل ، واتجاه الاجمال الى المبادىء والقواعد ، مما قد يظن معه أن لا مكان فى الوحى للنص على الوسائل ، فلقد نلحظ فى مجالى الدعوة والتربية نصوصا على الوسائل :

فالتعليم وسيلة للتربية ، ووسيلة للدعـوة .. وهى من أول ما نص عليها فى القرآن **«اقرأ باسم ربك الذى خلق »** (٢٨) ، **« ن ، والقلم وما يسطرون »** (٢٩) .

والرسول ﷺ يقول « خـيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، ومهمة الرسول ﷺ **« يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .. »** (٣٠) .. ونصوص أخرى !

والاعلام وسيلة للدعوة،ووسيلة للتربية ، انتهجها رسول الله ﷺ حين اتخذ بعض الصور للدعوة والتربية : القول..الحديث..: الدعوة الفردية .. الدعوة الجماعية .

---

(٢٨) العلق : ١ . (٢٩) القلم : ١ .

(٣٠) آل عمران : ١٦٤ ، والجمعة : ٢ .

والأساليب ، . وهى قـــريبة من الوســـائل . . منصوص عليها :

القدوة .. . الحـــوار . . الحكمة والموعظة الحسنة .. القصة .. الحدث (*) ..

* * *

ثانيا ــ الجهاد وسيلة :

ورد الحديث عن الجهاد كثيرا فى القرآن ، وقدم النفس فيه على المال ، لكنه أحيانا يجعل المال قبل النفس .

وكذلك السنة .

وحديث « المفكرين » عن الجهاد قليلة ، لأن أكثرهم يغفل عن أهميته فى الاسلام ، كما أن بعضهم يستغرقه « الفكر المجرد » عن التفكير فى الجهاد أو عن الحديث عن الجهاد . وبعضهم يدعو الى « جهاد النفس » ، ويعتبره « الجهاد الأكبر » ولسنا نغض من قيمة جهاد النفس وقد تناولناه فى غير هذا المكان وأطلقنا عليه تسمية القـــرآن « التزكية » .. لكننا نؤكد أن الجهاد الذى تردد فى الكتاب والسنة ، والذى جاء فيه مثل قوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض** »

(*) راجع ما كتبناه فى نحـــو نظرية للتربية الاســـلامية ــ الباب الثالث (أساليب التربية الاسلامية ووسائلها) .

أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعـــذبكم عـــذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير » (٣١) .

ومثل قول رسول الله ﷺ « راس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » .

نقول : ان الجهاد التى تواترت عليه النصوص تواترا معنويا جما هو الجهـــاد بالنفس والمال ، ولا يكون كذلك حتى يكون فى سبيل الله .

وما تركت أمة الجهاد الا زلت .

وتعبئة الشعب للجهاد هى مهمة المفكرين والدعاة الى الله .

* * *

الضابط الرابع : الأخـلاق

● **تقـــدمة :**

الأخلاق ـــ بعـــد العقيدة ـــ ضابط للسلوك وقبله ضابط للفكر أن يزل أو أن يشقى .

فكم من الناس انطلقوا بفكرهم بعيدا عن الأخلاق ، فضلوا ، وأضلوا ، وشقوا ، وأشقوا .

والأخلاق لها مكانتها فى الاسلام ، وقد تعرضنا لها فى أماكن عديدة (٣٢) ، نكتفى معها هنا بالاشارة والاجمال دون التفصيل .

---

(٣١) التوبة : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣٢) المشروعية الاســـلامية العليا ، نحـــو نظرية للتربية الاسلامية (باسهاب أكبر) .

والأخلاق فى الاسلام فعالة تحدث اثرها ، وأول ميدان لها هو الفكر .. وقد زل مفكرون كثيرون بغير الأخلاق .

وربما ضربنا لبعضهم الأمثال .

● **مكانة الأخلاق :**

مساحة الأخلاق فى القرآن كبيرة ، وكذلك فى سنة رسول الله ﷺ وسيرته ..

وآيات الأخلاق واحاديثها كثيرة ..

ويكفى ما اشرنا اليه من انها تاتى مع آيات العقيدة واحيانا سابقة عليها ..

ويكفى من احاديث رسول الله ﷺ انه جعلها غاية لبعثته : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وانه جعلها موازية صوم الدهر كله وقيام الليل كله « ان الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم » .

● **الأخلاق تحدث اثرها فى الفكر :**

اثر الأخلاق فى السلوك معروف ومفروض ..

لكن البعض قد لا يدرك اثرها فى التفكير ..

لكن الراسخين فى العلم ، والداعين الى الله يدركون :

انها تورث الفكر صدقا واستقامة ..

تورثه فضيلة وعفة .

تورثه وفاء وثباتا .

ومن ثم يظهر أثر الفكر الصادق .. فيما يصدر عن المسلم بعد ذلك ، فان كان ممن يتعاطون الفكر ظهر ذلك فى أدبه ، فى قصصه ، فى محاضراته ، فى دروسه ، فى كتاباته ... وهكذا ...

● **زل الذين تركوا الأخلاق :**

والذين اقتحموا مجال الفكر بغير أخلاق زلوا .

وبدا زللهم فى كثير ..

بدا فى القصة الماجنة .

بدا فى الأغنية الخليعة .

بدا فى الاعلام الرخيص بكل الوانه .

بدا انحراف خلقهم فى أدبهم ، فى دروسهم ، فى محاضراتهم ، حتى ولو حملوا الألقاب العلمية ، أو تبوأوا المناصب العديدة ..

والأمثلة كثيرة .

ولا نود أن نذكر الاسماء (٣٣) !

* * *

---

(٣٣) فضلنا الامساك عن الأسماء وهى كثيرة فى عالمنا العربى حفاظا على الموضوعية وقبلها تأسيا برسول الله ﷺ « ليس المؤمن بسباب ولا لعان » رغم أننا فى البداية كنا نتجه الى ذكر بعض الأسماء .

الضابط الخامس : وظيفة الانسان وصلته بالمجتمع

● **تقـــدمة :**

ليست وظيفة الانسان هى ما يمارس من عمل .. ان ذلك جزء من وظيفته .. لكن وظيفته اشمل واعم ، واسمى واعلى .

انها وظيفة تصله بالغاية العليا والهدف الاسمى ... انها الوظيفة التى تصله بالله .

ان وظيفته العبادة بمعناها الواسع .

وان صلته بالمجتمع .. صلة الأخوة ، صلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

اولا ــ عبـــادة :

وعبادة المسلم هنا وظيفة لا ترتبط بموعد ولا « دوام » ، انها ترتبط بحياته ! **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين »** (٣٤) .

فاذا انتهت حياته انتهت وظيفته ، وانتقل الى مكان يجنى فيه ثمار هذه الوظيفة ، والمسلم يحرص على هذه الوظيفة :

يمارسها فى الليل نوما على طهارة يسبح الله قبله ، فتسبح الملائكة بدلا منه وهو نائم ! ثم يتجافى جنبه عن المضجع فيدعو الله خوفا وطمعا !

ثم فى النهار له سبح طويل .. يفعله كله عبادة .. عملا أو لقاء ، أو زيارة أو اجتماعا أو سفرا أو بقاء ..

---

(٣٤) الأنعام : ١٦٢ .

وللعبادة ركنان : أحدهما مادى والآخر معنوى .

أما المعنوى فهـــو غاية الحب مع غاية الذل لله سبحانه وتعالى ، مقرونا بالاخلاص لله تعالى ..

وأما المـــادى فهو أداء الأمر على ما أمر به الله ورســـوله **« قل ان كنتم تحبـــون الله فاتبعـــونى يحببكم الله ويغفـــر لكم ذنوبكم »** (٣٥) .

ومجـــال العبادة بهذين الركنين يشمل العبادات كما يشمل العادات .

أما الأولى فهى اصطلاح على النسك والشعائر التى أمر بها الله ، وفيها معنى العبادة واضح .

وأما الثانية فهى كل حركة المسلم مع نفسه ، مع اسرته ، مع مجتمعه ، انها ان توافر لها الركنان السابقان تحقق فيها معنى العبادة ، فتتسع العبادة لتصبغ الحياة كلها **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك امرت »** (٣٦) .

ثانيا ــ أخـــوة :

والأخوة تربط المجتمع المسلم ربطا محكما يميزه عن أى مجتمع آخر ! وأدنى درجاتها سلامة الصدر ، وأعلى درجاتها الايثار .

ولقد من الله بها على المؤمنين بعد أن من عليهم بالايمان والاسلام:

---

(٣٥) آل عمران : ٣١ . (٣٦) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

«بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين»(٣٧).

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (٣٨) .

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » (٣٩) .

وفى مجتمعات اليوم التى سادتها القيم المادية الهابطة ، يتطلع الناس ويتشوفون الى المثل العليا فى روابط المجتمع ، فلا يجدون الا اخوة الاسلام .

تلك الأخوة التى ارسى رسول الله ﷺ قواعدها فى تربيته للرعيل الأول من صحابته ، والتى اكدها عندما اقام المجتمع المثالى فى المدينة المنورة غداة الهجرة ...

تلك الأخوة نحن بحاجة أن نعيد سيرتها ، وأن تظهر صورتها فى مجتمعاتنا المادية التى صارت تزن الناس بالدرهم والدينار ، والريال و « الدولار » !

ثالثا ــ امر بالمعروف ونهى عن المنكر :

تلك هى الصلة الثالثة بالمجتمع ، عبادة تبلغ حد التقوى ، اخوة تبلغ حد الايثار ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر يوقف الظالم

---

(٣٧) الحجرات : ١٧ .
(٣٨) المائدة : ٣ .
(٣٩) آل عمران : ١٠٣ .

عند حـــده ، ويعيد الفاسق الى رشده ، ويأخذ على يد كل مبتدع وفاجـــر .

وهو أمر يطول الحديث فيه ..

يبدأ من انكار القلب الذى لابد معـــه من اعتزال المنكر .

ويتدرج الى انكار الكلمة بدءا من الكلمة الهادئة وانتهاء الى الكلمة العنيفة .

وينتهى الى انكار اليد على النحو المناسب لمقتضى الحال .

وفى ذلك تفصيل طويل ، بسطناه فى مكان آخر (٤٠) ، وسبقنا اليه علماء أجلاء (٤١) ولحقنا كذلك .

* * *

---

(٤٠) المشروعية الاسلامية العليا ص ٢٨٠ ــ ٣٣٦ .

(٤١) مشار اليهم بالمرجع السابق ..

obeikandl.com